مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرون

اجتماع في مونيخ من ٢٨ آب الى ٤ ايلول ١٩٥٧

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

الفرح ثمرة السلام .

في صباح اليوم الثامن والعشرين من آب في أروقة جامعة مونيخ الرحبة شاهد الحاضرون خصوماً فرّقت بينهم سياسة الانانية يسايرون بعضهم بعضاً وقد جمع بينهم التآلف في خدمة العلم . هناك سمعت الآذان لهجات لغات شتى تمتزج : العربية والانكليزية والفرنسية والروسية والصينية وغيرها . هناك رأينا متجانسة الوان البشرية المختلفة الاصفر والابيض والاسود والاسمر والقاتم . وقد اتى هؤلاء المؤتمرون العديدون من الشعوب البعيدة والقريبة ليقضوا مجتمعين اياماً هادئة بعيداً عن دمدمة الحرب والاضغان في محيط مُنعش محيط بشرية متآلفة بشرية تسهر على تُراث ابنائها الروحي والعلمي بينما يُعنى غيرهم كثيرون بالهدم والإفقار .

حانت ساعة افتتاح المؤتمر في قاعة الجامعة الكبرى . هناك الف وثلاثمئة مؤتمرين في مقاعدهم وانظارهم متجهة الى المسرح حيث جلس موسيقيون للترحاب بهم بنغمات تترنم بقدوم علماء أتوا عديدين ليعرضوا نتائج بحوثهم ويستفيدوا مما يقتبسونه في مكاتب مدينة النور الفنية . كان لا بدّ لمندل من وضع حدّ لانبساط القلوب هذا وهي قلوب باحثين صادقة بخاصة ظنّ الناس ان العلم قد أصلدها . فابتسامتهم ودماثتهم وسلاسة معاملاتهم واستقامتها أوجدت محيط اتفاق دام اياماً لا تُنسى . اما فائدة مؤتمرات المستشرقين هذه فهي ان يتلاقى للمرة الاولى او للمرة العاشرة إخوان تبعدهم مئات او آلاف من الاميال عن بعضهم يعيشون في طريق واحدة من البحوث منكبّين على عين المواضيع .

بعد الاستماع الى الموسيقية سلّم رئيس المؤتمر السابق الذي عُقد في كامبريج

سنة ١٩٥٤ السيد رالف تورنير رئاسة المؤتمر الجديد الى الدكتور ارنست فالدشميت وهذا بدوره رحّب باعضاء المؤتمر واعلن رسمياً افتتاح المؤتمر.

٥

بعد مشهد الوحدة هذا الذي دام ثمانية ايام كاملة ثمّ كلٌّ من اعضاء المؤتمر بالانضمام الى الفرع الذي ينتسب اليه حسب البحوث التي تخصّص فيها. كان المؤتمر منقسماً الى اربعة عشر فرعاً: علم الآثار المصرية والآثار القديمة الشرقية والآثار الآثورية والعهد القديم والشرق المسيحي وبيزانس والفرع السامي وفرعان للبحوث الاسلامية ثم فرع للبحوث التركية والايرانية وللهند ولآسيا الوسطى ولآسيا الاقصى ولآسيا الجنوبية الغربية ولافريقيا. بعد ظهر اليوم الثامن والعشرين من آب كان ميعاد تلاقي المؤتمرين من جديد مجتمعين في شتّى فروع اختصاصهم حيث انكبّوا بنشاط على العمل: تصاريح ومباحثات وعروض اضطرّ اصحابَ المذكرات قِصَرُ الوقت المخصّص لها ان يتابعوا بحثها في اوروقة المؤتمر. ثم تعارُك آراء وانتقادات أوجدت بين الباحثين المختلفي البلاد علاقات ألفة واتفاق أعظم وامتن.

في الفرعين الاسلاميين — نبدأ بهما — كان نشاط المستشرقين والمستعربين عظيماً فكانوا يهتمون باطلاع ساميهم على شيء من ابحاثهم فكأنهم يتعمّدون اثبات وجودهم بما يخصّ الابحاث العلميّة في عائلة المستشرقين العظمى. صلاح الدين المُنَجِّد في تصريح عن «مؤسسة المخطوطات العربية واعمالها» اظهر بجدارة كل ما تقوم به وتُعِدّه هذه مؤسسة اللجنة العربية والعمل الذي تنوي به خدمة مصلحة العلم الشرقي. والحقيقة هي ان مشاريع هذه المؤسسة عظيمة ولكي تنجح في تنفيذها تعتمد على مُعاضدة كل ذوي النوايا الصالحة من العلماء الذين يهمّهم حفظ التراث الثقافي الذي تركته لنا اجيال عديدة من التاريخ الاسلامي. الاب جورج قنواتي عرّفنا بنصّ فخم للمعتزلة لم يُطبع بعد وهو للقاضي عبد الجبار فسوف يكون نشره بدء اكتشافات كثيرة الفائدة فيما يخص فلسفة المعتزلة. وهنري بيرس أطلعنا على نتائج تفتيش قام به سنة ١٩٣٠ بخصوص قراءات الشرق الادنى العربية. اما ا.ل. طياوي فكلمنا عن اهمية المقام الذي تحتله رسائل إخوان الصفا في التربية الاسلامية.

ثم عُدنا مع ماريوس كاتارد الى سوريا للتحدث عن مقدمة جغرافيا « بُغية الطلب » لابن العديم. وكاتب هذا المقال عرّف سامعيه بنصّ لم يُنشر بعد لابن خلدون فيه يظهر بلا ريب كمؤرخ التصوّف الاسلامي وانه لمؤرّخ حاذق يتبع عين الطريقة التي بالغ في مدحها في «مقدمته» مُفضّلًا اياها على كل المذاهب التي سبقت زمانه في التفتيش عن الحقيقة التاريخية. وحدّثنا الاب ب. عبد الجليل عن النقد الذاتي في الاسلام وقد ذرّت طلائعه مؤخرًا في مؤلفات مصرية. والامير موريس شهاب ألفت الانظار في تصريحه الى اكتشاف قصر اموي في عنجر . . . لولا طول المقام لذكرنا ايضاً تصاريح اخرى لكننا نكتفي بالتلميح الى ما قيل في القرآن: عن نصّه ولغته وقراءاته ثم في الفنّ الاسلامي والشعر.

في الفروع الاخرى نخصّ بالذكر حضور دريوتون ولوكلان وبرونير للمباحثات المصرية. وحضور كروسك ولامير وماير للآثار. وحضور مكاتزي وزيتلين للعهد القديم. واوفهاوزير ولروا للشرق المسيحي. وريكمانس ودوبون سومّر وليساو وموسكاتي وفون سودن وفليش وفاندن براندن للالسنة السامية. وردني ونيت للمباحث التركية. ونفيسي ومنش وفرهادي للمباحث الايرانية. والياد ونخرجي وهيمان للمباحث الهندية. وكافر اوغلو وبازان لآسيا الوسطى. ووانغ وآزولي للشرق الاقصى. وزوآت مولدر واوبياشي لجنوبي آسيا الغربي. وفان بولك ولوكاس لافريقيا.

كان يمكننا ان نزيد على هذه الاسماء اسماء اخرى كثيرة لكن غايتنا ليست إلّا الفات الانظار الى غنى التصريحات وتنوّعها لا غير.

٥

اذا ارذنا الآن ان نستنتج نتائج من هذا مؤتمر المستشرقين الرابع والعشرين يسرّنا ان نقول إن هذا التلاقي الودّي كان لجميع هؤلاء الباحثين فرصة أذاعوا فيها كلٌّ في موضوع اختصاصه اكتشافات العلم الاخيرة. فمن حضر مثلًا بعض المباحثات بخصوص العروض العربي او بعض مشاكل العهد القديم تخيّل له انه يحضر مجادلات القرون المتوسطة حيث تآلفت دائمًا الحدة والرزانة. وقد شاهدنا هنا ما يُرى عموماً في المباحثات الجدلية المتقدّمين والمحافظين، المتمسكين بالماضي

الثابت والمطالبين بتجديد البحث حتى في المشاكل الشرقية الراهنة . وان هذه المجابهة بين الاتجاهين المتباينين قد أوجدت — كما في مؤتمر كامبرج سنة ١٩٥٤ — اللذة والحمياً معاً .

قبل ان نختم لا بدّ لنا من الفات النظر الى امر عدنا مرارًا عديدة في هذه المجلة الى التكلم عنه . فالمسئولون للغة العربية في المؤتمر قد ألحّوا وبصواب في ضرورة توحيد جهود البُحّاث . وقد حاولت اللجنة العربية في التوصل الى ذلك باقام مشاريع قامت بها واخرى تنوي انجازها . وهي تودّ ان تعيد طبع بعض المخطوطات القديمة التي نشرها المستشرقون مستعينة بالمخطوطات المكتشفة جديدًا وباتباع طريقة علمية اكثر تدقيقاً وتودّ ايضاً ان توحّد اللغة العلمية لكيما تضحى اللغة العربية كما كانت قديماً آلة فعّالة على مثال اللغات الاوروبية واخيرًا تبغي ان تعمل كل ما هو بوسعها لتسهّل على البحّاثين عملهم العلمي بنوع ثابت وذي قيمة .

ان هذه النتائج المختلفة بخصوص المؤتمر فيما يهمّ الشرق العربي هي جديرة بتحسين العمل والانتاج .

فمؤتمر المستشرقين المقبل الذي سوف يجتمع في لينغراد بدعوة من موسكو سنة ١٩٦٠ سوف يطلعنا على قدر تنفيذ هذه المقررات .

o

في بـــد. كلامنا قلنا بان الفرح هو ثمرة السلام . والآن نقول بان السلام هو ثمرة الوفاق الارادي بين خدّمة الروح لخير عالم تقدر البشرية ان تعيش فيه دون الخوف الدائم من نكبة مفاجئة .